بجاية ومكانتها العسكرية في العهد الموحدي
546-629 هـ/1152-1230م*.

من إعداد: م م ش صلاحي حسام
م و د ب ت ع ج/ ن ع1

مقدمـــــــة:

عرفت السواحل المغاربية أهمية بالغة عبر مختلف فترات التاريخ وفي مجالات متعددة ولاسيما العسكرية منها، وهذا ما جعلها مطمعا للغزاة الذين استوطنوا بلاد المغرب، فبرزت موانئ على طول الشواطئ المتوسطية اكتسبت أهمية على حساب موانئ أخرى، ومن هذه الموانئ، يوجد: بجاية التي سطع نجمها منذ العهد الفينيقي، وحافظت على مكانتها خلال العهدين الروماني والوندالي ثم أفل نجمها ردحا من الوقت لتبرز من جديد في العهدين الحمادي والموحدي.

وظفرت بجاية بمكانة كبرى في المجال البحري، واكتسبت أهمية جيو إستراتيجية في العهد الحمادي باتخاذها عاصمة لدولتهم، ولم تقتصر مكانة بجاية في المجال العسكري فحسب وإنما فرضت نفسها في العهد الموحدي على الرغم من أنها لم تكن عاصمة يومئذ إلا أنها افتكت لنفسها حضوة في العديد من الأصعدة، وخاصة كالصعيد العسكري والاقتصادي والثقافي طوال العهدين الموحدي فالحفصي.

تحاول هذه الدّراسة تسليط الضوء على مكانة بجاية في المجال العسكري عموما، وفي إطارها الجغرافي خصوصا، فقد بلغت شأنا عظيما، وهو ما يجعل هذه الدراسة تطرح التساؤلات التالية: ما هي المقومات التي تمتعت بها حاضرة بجاية لتفرض نفسها كقوة بحرية في الفضاء المغاربي والمتوسطي؟، وماذا قدمت بجاية للموحدين في المجال العسكري؟، وما مدى استفادة بجاية لمّا ضُمت للحكم الموحدي ؟.

* أصل هذا المقال مداخلة ألقاها الباحث في أعمال الملتقى الدولي ابن تومرت والموحدون المنعقد بمدينة بجاية يومي 25 و26 أكتوبر 2018م، ضمن مشاركة باحثي ومدير المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري.

1- نبذة تاريخية عن مدينة بجاية:

تعود مكانة بجاية إلى العهد الفينيقي لما اختاروها كمستوطنة لهم وأطلقوا عليها اسم صلدىSALDA، كما وقع انتقاؤهم على بعض المدن الساحلية الأخرى في الحوض الغربي للمتوسط التي استوطن فيها هؤلاء الوافدون القادمون من المشرق، ولم يكن اختيارهم لهذه المدينة اعتباطيا وإنما تفطنوا لأهمية ومكانة موقعها من بين العديد من المواقع المجاورة لها، إذ أنه يوفر الحماية الطبيعية للقوارب والسفن من الرياح الشمالية الغربية.

وحافظت صلدى على مكانتها العسكرية والاقتصادية لما آل حكمهما إلى النوميد الشرقيين، ثم لما توحدت المملكة النوميدية في عهد الملك قايةGaya وماسينيسا Massinis-sa، فقد عُثر على قطعة نقدية مصنوعة من البرونز مدون عليها اسم ص. ل. د. ن. وهو ما يدل على أهميتها التجارية، وأثبت أهميتها العسكرية أيضا انتشار تربية الخيول في بجاية الرسم في النقود الذي عُثر عليه يحتوي على الحصان[1]. ولا شك أن الخيول استعملت على نطاق واسع في الحروب والمعارك خلال العصرين القديم والوسيط.

إن دخول بلاد المغرب تحت السيطرة الرومانية لم يؤثر سلبا على مكانة بجاية، وأطلق عليها الرومان اسم صالدي Saldaea والتي تعني الحجر الصلب، وظلت ذات أهمية إستراتيجية طوال الاحتلال الروماني الذي امتد من سنة 46 ق. م. إلى سنة 429 م.ونظرا لأهميتها عند الرمان فقد شَيَّد أحد أباطرتهم أسقفية وبقيت إلى أواخر القرن الخامس الميلادي، برهن على منزلتها العسكرية تلك النقيشة التي عُثر عليها بالمنطقة توضح تدريب الفتيان على الرياضة ليتبوؤا بها مناصب عسكرية[2] مختلفة.

احتلت هذه المدينة مكانة مرموقة إبّان الاحتلال الوندالي

بحكم أنهم ركزوا وجدوهم على سواحل المغرب القديم، ولم تمتد سيطرتهم كثيرا نحو المناطق الداخلية، بدليل أن سيطرتهم لم تصل إلى سيرتا «**قسنطينة**»، ونظرا لموقع بجاية البحري المهم فقد اتخذها هؤلاء عاصمة مؤقتة لمملكتهم[3]، وأطلقوا عليها اسم قورايا Gouraya وتعني الجبل، وقيل أُطلق عليها أيضا اسم غور Gour والذي يعني الموقع الصخري، ثم اتخذوا من بونة عنابة عاصمة سنة 431م، وبعدها استقر بهم المقام في قرطجانة سنة 439م. إلا أن مكانة بجاية تراجعت مع ولوج الاحتلال البيزنطي إلى بلاد المغرب، واكتنفها الغموض طوال فترة احتلالهم للشمال الإفريقي.

تراجع مقام بجاية إبان عهد الفتوحات الإسلامية، بحكم أن المسلمين مع بداية تواجدهم في بلاد المغرب لم يُولوا الشريط الساحلي وموانئه عناية كبيرة، بل حُفظ عليهم خلاف ذلك من خلال اتخاذهم المدن الداخلية كمناطق حيوية لجيوشهم نظرا لقصر تجربتهم البحرية وعدم تكافؤ موازين القوى بينهم وبين البيزنطيين الذين كان لهم باع كبير في البحر المتوسطي عموما وفي الحوض الغربي منه على وجه الخصوص، حتى أن البحر المتوسطي أطلق عليه اسم «**بحيرة رومانية**».

وأكد على محدودية شأن بجاية مع بداية التواجد الإسلامي إلى غاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ما دونه الرحالة والجغرافيون في تلك الفترة، ومن هؤلاء يُوجد، الرحالة ابن حوقل النصيبي(ت. بعد 367 هـ/977م) لما ذكر بونة (عنابة) استرسل في وصفها وعدَّ إمكانيتاها الزراعية وأشاد برواجها التجاري، ولما أتى الدور على المدن الساحلية الجزائرية الواقعة بين بونة والجزائر (العاصمة حالية) قال: «**وبينها وبين الجزائر بني مزغناي مراسٍ فمنها جيجل ومرسى منه إلى بجاية مرسى ومنه إلى مرسى بني جنّاد**» أورد بأنها لم تعد سوى أنها مرسى صغير[4] دون أن يُعطينا شروحات أوفى تُشفي غليل الباحثين، وهي عادة الرحالة والجغرافيين في وصفهم للمدن والقرى، فإن المدينة الاستراتيجية يفردونها بمعلومات وإيضاحات وافية بخلاف لما تكون قليلة الشأن فإن المعلومات حولها تشح وتتسم بالغموض، واستمرت عزلة بجاية في المجال البحري مع ظهور الدول المستقلة في بلاد المغرب بدءا بالأغالبة إلى غاية قدوم الفاطميين لبلاد المغرب،(296-361هـ/909-972م). فقد اتخذوها كمركز لصناعة السفن[5] وهي النواة الأولى لبزوغ فجر هذا الميناء الصغير الذي سيتبوأ المكانة المرموقة اللائقة به وسيتحول إلى محطة كبرى للقوات البحرية الحمادية فالموحدية.

2- مراحل بروز مكانة بجاية البحرية:

يعود تاريخ تأسيس مدينة بجاية إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وبالضبط سنة 460هـ/1067م ويرجع فضل في تشيدها إلى الأمير الحمادي الناصر بن علناس (454-461 هـ/1062-1088)[6] الذي أطلق عليها اسم الناصرية وكان ذلك سنة 457هـ/1064م[7].

شهد على بداية بروز مكانة بجاية مع نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الجغرافي أبو عبيد الله البكري (ت. 487هـ/1094م) والذي نعتها بوصف يُوحي بتطور بجاية عمّا كانت في عهد ابن حوقل، ومما قاله في شأنها: « **مرسى مدينة بجاية أولية آهلة عامرة بأهل الأندلس، وبشرقها نهر كبير تدخله السفن المحمّلة، وهو مرسى مأمون شتوي قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس**[8]». وبناء على هذا النص فإن الباحث يرى بأن لأهل الأندلس دور لا يستهان به في تحول بجاية من قرية إلى مدينة وساحلها من مرفأ صغير إلى شبه ميناء ترد إليه السفن محملة بالبضائع والسلع كل هذا في ظرف قرن من زمان، وما من شك في أن اتخاذها عاصمة من قبل الحماديين أعطى لها دفعا قويا في ازدهارها ونمائها في الميدان الاقتصادي والعمراني.

تمدنت بجاية خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهذا بشهادة مؤرخ وجغرافي مجهول عاش خلال هذه الفترة، ومما أورده قوله : « **مدينة بجاية: هي مدينة عظيمة على ضفة البحر، والبحر يضرب في سورها. وهي محدثة من بناء صنهاجة**[9]». فشهد صاحب المصدر على أن بجاية في وقته حديثة البناء، ويعود الفضل في بنائها إلى أهلها الصنهاجيين.

3- بجاية ومكانتها العسكرية في عهد الحمادي:

إن قيام الدولة الحمادية (1014-1152) مثّل العصر الذهبي لبجاية أعادها إلى مكانتها التي فُقدت منذ ولوج المحتل البيزنطي إلى غاية ظهور الفاطميين، وبرزت أهميتها بشكل جلي لما نقل الحماديون عاصمتهم من القلعة الواقعة بالمعاضيد وهي منطقة داخلية وكثيرا ما تعرضت لتحديات أمنية خطيرة هناك، والتي تَمَّثلت في الخطر المرابطي من الجهة الغربية، والخطر الزيري من الجهة الشرقية، وكذا الزحف الهلالي القادم من بلاد المشرق[10]، كل هذه الظروف دفعت بالحماديين الانتقال نحو بجاية المطلة على البحر[11]. ولعب الجانب التحصيني لبجاية دور كبير في اختيارها كعاصمة لملك بني حماد[12].

اهتم الحماديون بالجيش اهتماما بالغا، بسبب الأخطار الخارجية التي تهددت عاصمتهم الجديدة (بجاية)، وأولوا الشؤون البحرية عناية خاصة، ومن المدن البحرية التي اشتهرت في عهدهم، يوجد: ميناء بونة، مرسى استوره (سكيكدة حاليا)، القل، بجاية، الجزائر، شرشال، تنس، غير أن ميناء بجاية يُعد أهمهم[13]. وكان «**قائد الأسطول**» الذي يُلقب أحيانا «**صاحب البحر**» وأحيانا أخرى «**قائد البحر**» ذا شأن عظيم في الجيشين الحمادي والموحدي[14].

4- محاولات الموحدين فتح بجاية ثم استرجاعها:

حاول الخلفاء الموحدون فتح بجاية وضمها لخلافتهم وتخليصها من الأخطار البحرية والبرية المحدقة بها، ونظرا لمكانتها العسكرية والإستراتيجية وحتى الاقتصادية، فقد عزموا على فتحها ولوا باستعمال القوة العسكرية ، خاصة لمّا استنجد أهالي المهدية بالخليفة الموحدي لتخليصهم من احتلال النورمان[15]، فصار لزاما على الموحدين السيطرة عليها ليتسن لهم تحرير باقي السواحل المغاربية الواقعة شرق بجاية والقابعة تحت السيطرة النورمانية. ومن الحملات التي سخرها الموحدون لفتح بجاية أولا ثم استرجاعها ثانيا، يوجد:

أ- الحملة الأولى ضد الحماديين:

جرت وقائعها في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) الذي أرسل حملة عسكرية مشكلة من قوات بحرية[16] وبرية من أجل فتح بجاية، وكان ذلك سنة 540هـ/1145م[17]، في حين يرى بعض المؤرخين أن تاريخ هذه الحملة كان سنة 547هـ/1152م[18]، وهو ما يرجحه الباحث، هذا وقد أخذ الجيش الموحدي كل الاحتياطات اللازمة ليباغت الحمادين في عقر عاصمتهم، فأرسل الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى عامله على تلمسان يأمره بمنع التجار والمسافرين السير اتجاه بجاية وتونس برا وبحرا، وهدد بالسيف كل من تسول له نفسه بنقل الأخبار عن تحركات الجيش الموحدي المتجه نحوها[19]، بل وعمد إلى وضع حراس ليتأكد من عدم نقل أخبار زحف الجيش نحو بجاية، وأوهم الناس بأنه يسير بإتجاه الأندلس[20].

وعن طريقة فتحها أورد عبد الواحد المراكشي أن عبد المؤمن أحكم حصارها وضيق على أهلها، فما كان من أميرها يحي بن عبد العزيز (1121-1152م) سوى الفرار عن طريق البحر لما تيقن أن لا مجال لمقاومة الجيش الموحدي[21]، وعظُمت مكانة بجاية عند عبد المؤمن فولى عليها ابنه أبا محمد عبد الله[22]. وهكذا ضُمت بجاية إلى الخلافة الموحدية وغدت محطة هامة من المحطات البحرية الموحدية. لذا فإن الموحدين لم يدخروا جهدا في الدفاع عنها من المخاطر القادمة من الخارج أو من الداخل وهو ما تجلى فعلا في الجهود التي بُذلت من لدن الموحدين لتخليصها من هجوم بني غانية.

ب- الحملة الثانية ضد بن غانية:

على الرغم من أن الموحدين استطاعوا إخضاع بجاية دون عناء كبير وذلك إثر تمكنهم من إسقاط حكم الحماديين بها، إلا أنها أفلتت من بين أيديهم إثر استيلاء بني غانية عليها، الذين استغلوا الظروف الصعبة التي ألمت بالموحدين[23]، فقسم كبير من الجيش والأسطول الموحدي كان منهمكا في حروب ومعارك طاحنة في جبهة الأندلس ضد القوى النصرانية والحركات المناوئة لهم[24] الأمر الذي حتم على الجيش الموحدي التمركز في العدوة الشمالية على حساب العدوة الجنوبية للمتوسط، وازداد أمر الموحدين تعقيدا بعد مقتل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي

(558هـ/1163م580-هـ/1184م) وتأخر مبايعة ابنه، فاستغلوا فرصة خروج أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن عامل بجاية لمبايعة الخليفة الجديد في عاصمة الدولة يومئذ وهي مراكش[25]، هنالك انتهز بنو غانية هذه الفرصة، فجهزوا أسطولا بحريا قَدَّر قوامُه الرحالة ابن جبير بثلاثمائة قطعة بحرية بين طرائد ومراكب، بحيث تقوم مائة سفينة أخرى بتموينهم بالطعام[26]، ووثبوا على المدينة ودارت معركة طاحنة يوم 06 شعبان 580هـ/ 13 نوفمبر 1184م بينهم وبين الربيع الذي رجع إلى بجاية لما وصله نبأ زحف بني غانية عليها، فانهزم الموحدون في هذه المعركة الغير المتكافئة بين الطرفين إذ أن تعداد الجيش الموحدي في هذا المعركة لم يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل وأصبحت بجاية تحت سيطرة بني غانية[27]، وأعلن بنو غانية ولاءهم للخليفة العباسي كما دأب عليه المرابطون[28]من خلال الدعاء للخليفة العباسي في بغداد[29]، ولم يقف زحف بنو غانية على بجاية فحسب، وإنما امتدت سيطرتهم إلى الجزائر بني مزغناي[30] ومدن داخلية أخرى كمدينة أشير وملیانة إلى أن وصلوا إلى مازونة وحاصروا قسنطينة غير أنهم لم يُفلحوا في إخضاعها[31].

و أدرك الخليفة يعقوب المنصور(558-580هـ/1184-1199م)، خطورة حركة بني غانية، فصمم القضاء عليهم مهما كلفه الأمر من عدة وعتاد وهذا عبر تسخير قوة كبيرة من الجيش البري والبحري[32]، بلغ تعداده عشرون ألف مقاتل وأمّر عليهم أخوه أبو الحسن يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن[33]، وجهز قوة بحرية وأوكل قيادة الأسطول للقائد الشهير أحمد الصقلي، استطاع الجيش البري تحرير ملیانة والجزائر، ودخل الأسطول الموحدي في معركة مع أسطول بني غانية الذي حلت به هزيمة ماحقة[34]، واستطاع الموحدون تحرير بجاية من أسرة بني غانية، ورجعت إلى حكمهم مجددا[35]. بعد أن نزلت الهزيمة ببني غانية ومن ناصرهم وكان ذلك يوم 19 صفر 581هـ/ 21 ماي1185م[36].

وهكذا لم تدم سيطرة بنو غانية على بجاية سوى ستة أشهر لتعود من جديد إلى الحكم الموحدي. ولعل مرد تأخر الموحدين في استرجاعها هو موسم الشتاء الذي يتعذر فيه انتقال السفن إضافة إلى أن المسافة بين مراكش وبجاية كانت تقتضي ثلاثة أشهر في الحالة العادية.

5- مؤهلات بجاية البحرية:

أ- وفرة المواد الأولية: حظيت بجاية بمعظم المواد اللاّزمة لصناعة مختلف المراكب البحرية، ولا شك في أن الخشب يُعتبر المادة الأساسية والرئيسية في صناعة السفن بمختلف أنواعها وأحجامها،كما نعمت أيضا بمادة النحاس[37] والحديد الذي يدخل في صناعة السفن، وأكد المؤرخ والجغرافي الإدريسي (ت.560هـ/1166م) هذا بقوله: «**وبها دار لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي، لأنّ الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود، ويُجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة، والقطران، وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة، وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبل جرجرة وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب، وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا ويجوز من شاء في كل موضع منه**[38]»، فالنص الذي أورده الإدريسي في نظرنا يدل على أن بجاية تمتعت بكل المقومات التي تساعد في صناعة السفن من الزفت والقطران حتى وان لم يوجد في مركز المدينة فإنه يرد إليها من المناطق القريبة والتابعة لها، وما من شك فإن الصناعات الأخرى التي كانت تنشط في بجاية قدمت العون والسند اللازمين للصناعة البحرية التي تعتمد على جملة من الصناعات والورشات التكميلية. وهو ما أكده أيضا المؤرخ الإسباني مارمول كربخال Louis delmarmolCarvajal[39].

والمُلاحظ أن الإدريسي أعطى إشارة إلى الوادي المتصل بالبحر والذي ينقص منسوب مياهه كلما ابتعد عنه، وفي هذا دلالة على استغلاله في صناعة السفن إذ بواسطته تتصل المراكب المصنعة حديثا بالبحر بكل سهولة ويُسر.

ب- استغلال الإرث البحري الحمادي: استغل الموحدون مكانة بجاية في المجال العسكري عموما وفي المجال البحري خصوصا، ومن ذلك لما عزموا على فتحها تجنبوا الصراع المباشر الذي يُلحق الأضرار المادية والبشرية بالمدينة وأهلها ومنشئاتها، ولما حاصروا بجاية فتحوها دون قتال

أو تخريب، وهذا ما مكنهم من وراثة دار صناعة السفن البجاوية بالإضافة إلى بعض المراكب الحمادية الكبيرة التي كانت تمخر عباب الحوض الغربي للمتوسط[40] ، ساعدهم في ذلك أيضا استسلام غالبية تعداد الجيش الحمادي والذي قُدر عدده يومئذ عشرين ألف مقاتل[41]، ونجح الموحدون في الاستحواذ على الأسطول بطريقة سلمية بعيدا عن المعارك وهو ما كان له الأثر البالغ في المحافظة على جل المراكب سالمة، وكان ذلك عندما انضم[42] القائد الشهير للأسطول المرابطي علي بن موسى بن ميمون إلى عبد المؤمن بن علي عارضا عليه الدخول في طاعته وقيادته للأسطول، فما كان من الخليفة إلا أن قبل بهذا العرض[43]. وقد ورث الموحدون عن المرابطين والحماديين زهاء مائة قطعة بحرية بناء على ما أورده ابن خلدون، وعمد بعدها الموحدون تسليم قيادة الأسطول إلى أحمد الصقلي على الرغم من انتمائه إلى عائلة نصرانية مقيمة في جزيرة جربة، إلا أنّ الموحدين آثروا الاستفادة من تجربته وخبرته في الميدان البحري مع أهل صقلية[44].

ج- خبرة أهلها بالصناعة: الواقع أن إنشاء المراكب البحرية يتطلب وجود عدة صنائع مختلفة التخصصات، وقد أقر الرحالة والجغرافيون مدى خبرة أهل بجاية بالصناعة بحيث تفتقر الكثير من البلدان للصناعات الموجودة بها[45]. وهو ما أهل هذه المدينة لأن تكون قطبا صناعيا للمراكب البحرية.

6- بجاية مركز صناعة السفن العسكرية في العهد الموحدي:

على الرغم من أن الموحدين استعانوابالقوة العسكرية لضم بجاية إلى دولتهم إلا أنهم وُفقوافي الحفاظ على المنشئات الصناعية والمراكز الثقافية المبثوثة في ارجاء الدولة الحمادية، فلم يلجأ الموحدون إلى طريقة الانتقام وإقصاء كل من وقف ضدّهم، ومن ذلك، فلم يكتفوا بضم السفن الرابضة بالميناء البجاوي فحسب، وإنما أنشئوا مركز لصناعة السفن، وعُرفت مكان إنتاج السفن بدار الصناعة[46]، هذا وأورد مؤلف مجهول الذي أرخ لبجاية في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م، ومن ضمن ما قاله: « **ولها داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن، ومنها تغزا بلاد الروم، فإنها ليس بينها وبين صقلية غير ثلاث مراحل**[47]». وهي الفترة التي خضعت فيها بجاية للهيمنة الموحدية، فأكد على احتوائها على دارين لصناعة السفن، ووجهة نظر الباحث أن الموحدين أضافوا دار ثانية لإنتاج السفن وبقيت الأولى التي أُقيمت في الفترة الحمادية، وكلاهما يُنتج أنواعا مختلفة من القطع البحرية، وهو ما أهل بجاية لأن تُبادر بالهجوم على المراكب الأوروبية[48] عوض الاكتفاء بالدفاع عن نفسها كما عهدته قبل الهيمنة الموحدية عليها.

.تحول بجاية إلى مركز هجوم: لئن عانت بجاية أواخر العهد الحمادي من الاعتداءات الخارجية المتتالية والمتأتية أساسا من الضفة الشمالية للمتوسط خاصة من طرف الجمهوريات الإيطالية كالجنويين والصقليين فإنها غدت مركز هجوم للبحرية الموحدية[49]، فعندما عين الخليفة عبد المؤمن بن علي ابنه عبد الله واليا على بجاية أسدى له التعليمات بغزو سواحل إفريقيا الخاضعة لتهديد روجر الثاني Roger II de Sicile، (1130-1154م) وعرفته المصادر الإسلامية بابن الدوقة الرومي. فانصاع هذا الأمير لتوجيهات والده الخليفة، فضيق على النورمان وانكفوا عن سياستهم العدائية[50]. وأصبحت بجاية محطة هامة من محطات القوات البحرية الموحدية (الحط والإقلاع)، واعتبرت أهم محطة بحرية للجيش الموحدي في الضفة الجنوبية للمتوسط، كما اعتُبرت ألميرية أهم محطة في الضفة الشمالية للمتوسط[51].

7- المكانة البحرية الموحدية:

بلغت البحرية الموحدية مكانة كبيرة في الحوض الغربي للمتوسط، وبلغ صداها إلى بلاد المشرق الإسلامي والغرب النصراني، هذا وقد أكد ابن خلدون هذه الحقيقة في قوله بأن البحرية الموحدية بلغت من الهيبة والقوة في العدة والعدد ما لم تبلغه قبلها ولا بعدها أي دولة في بلاد المغرب[52]، وفي هذا الصدد أفاد أحمد بن خالد الناصري أن الأسطول الموحدي بلغت عدد مراكبه ما يزيد عن أربعمائة قطعة[53].

ونجحت البحرية الموحدية في تحقيق الأهداف المسطرة لها، فقد استطاعت بجدارة واستحقاق قهر القوى النصرانية العابثة بأمن وسلامة السواحل المغاربية، فتم تحرير بعض المدن الساحلية كالمهدية التي خضعت للاحتلال النورماني بقيادة روجر الثاني سنة 1148م و تم تحريرها يوم 10محرم 555هـ/ 21 جانفي 1160م وهذا بعد حصار محكم في البر والبحر دام لشهور[54]، وذكرت المصادر الأجنبية في هذا الخصوص من أن الموحدين استعانوا بمائة ألف مقاتل من فرسان ومشاة وقوات البحر[55]، ولا يُساور الباحث أدنى شك في أن هذا الرقم مبالغ فيه، ولعله من أباب إيجاد العذر لقوات النورمان التي مُنيت بهزيمة نكراء على يد الموحدين ورجعوا إلى أوروبا خائبين ومذعورين.

وهكذا غدت السواحل المغاربية في منأى عن الأخطار البحرية المتأتية من طرف الأوروبيين إلى غاية اضمحلال القوة الموحدية.

8- ماذا قدمت البحرية الموحدية لبجاية:

إن المنزلة البارزة التي تمتعت بها بجاية في العهدين الحمادي والموحدي جعلها عرضة لطمع الغزاة والذين تربصوا بها الدوائر وأجهزوا عليها كلما سنحت لهم الفرصة، هذا وقد عانت بجاية من تحرشات السفن الأوروبية منذ مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أي أواخر العهد الحمادي إلى العديد من الأخطار البحرية المتأتية من قبل القوى النصرانية بالإضافة إلى الأخطار الداخلية المتأتية من القوى الإسلامية كالهلالين والزيريين والمرابطين، ومن خلال هذا العرض التاريخي يتبين لنا جليا مدى خطورة المصاعب الأمنية التي عرفتها بجاية قبل خضوعها للموحديين، وكيف استطاعوا توفير الأمن البحري والبري لها إلى غاية بداية تراجع قوتهم على المسرح الإقليمي والدولي.
ومن مظاهر توفير الحماية الموحدية لبجاية، يُوجد:

.الدفاع ضد الأخطار البحرية: استغلت القوى النصرانية خاصة الجمهوريات الايطالية الضعف الذي دبّ في أركان الدولة الحمادية، على الرغم من أن هذه الأخيرة كانت تتبنى معهم سياسية سلمية، إلا أنها لم تَنجُ من غاراتهم واعتداءاتهم المتكررة منذ مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي[56]. ومن القوى البحرية الأوروبية التي هددت أمن وسلامة بجاية، يُوجد:

أ- الخطر الصقلي (النورماني): إن الناظر في السياسة الخارجية للأمراء الحماديين يُدرك بأنهم تبنوا إستراتيجية مبنية على الطابع السياسي وليس الديني في تعاملهم مع الدول والجمهوريات الأوروبية كما دأب عليه غالبية القوى الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلاميين، ومن ذلك، لما تعرضت المهدية للاعتداء الصقلي لم يأخذ الأميرين الحماديين الناصر بن علناس وابنه المنصور أي احترازات في تعاملهم مع الصقليين وإنما التزموا الحياد السلبي ولم يُقدموا يد العون لجيرانهم الشرقيين في تونس، بل وأكثر من ذلك تمكن الطرف الصقلي تحيد الحمادين من الصراع النصراني الإسلامي في الحوض الغربي للمتوسط،

غير أن هذه السياسة لم تؤت أكلها في أرض الميدان ولم تنفع الحماديين في درأ خطر النورمان المتعاضم في المتوسط، فقد حاولوا إغراق الأسطول الحمادي سنة 529هـ/1106م، وهاجموا ميناء جيجل وقاموا باحتلالها مما اضطر بالسكان الفرار من المدينة[57]، ولم تتوقف الاعتداءات النورمانية عند هذا الحد فقد أعادوا الكرة وغزوا السواحل الحمادية في حدود سنة 535هـ/1043م وتمكنوا من احتلال بعض المدن الساحلية الأخرى كشرشال وتنس وبرشك.وشكلوا شوكة في حلق المغرب الأدنى، عبر تهديدهم السواحل التونسية الخاضعة للحكم الزيري آنذاك، وبلغت تحرشاتهم منتهاها لما احتلوا مدينة المهدية سنة 543هـ/1148م .

ب- الخطر الجنوي: تعرضت بجاية لخطر الجنويين الذين شنوا هجوما كاسحا على ميناء بجاية سنة 530هـ/1136م، بناء على ما أوردته السجلات الرسمية لجمهورية جنوة من أن اثنا عشر سفينة جنوية هاجمت بجاية[58]، ولم يتمكن الأمير يحي بن عبد العزيز من صد هذا الهجوم البحري نظرا للوهن الذي آل إليه هذا الأمير وإمارته[59] والتي تسرب إليها الضعف والوهن ولم تعد قادرة على درأ الأخطار المحدقة بها.

واستطاع الخليفة عبد المؤمن بن علي فرض السلم الموحدي على الجمهوريات الايطالية التي طالما تحرشت بالسواحل المغاربية ومنها بجاية، ومثال ذلك جمهورية جنوة التي اعتدت على بجاية سنة 1130م، حيث أُجبرها

على تغير سياستها العدوانية اتجاه الضفة الجنوبية للمتوسط، خاصة لما وجه الموحدون ضربات قاصمة للميرية سنة 1137م، وبهذا يكون البجاويون طووا صفحة مظلمة مع الجمهوريات الايطالية بفضل سيادة الموحدين للحوض الغربي للمتوسط.

ليس هذا فحسب، وإنما لما شعر الجنويون باستحالة تهديدهم لبجاية وهي تحت سيطرة الموحدين، أجبرواعلى تغير إستراتيجيتهم العدائية ودخلوا في علاقات ودية مع الموحديين، تكللت بإبرام عقود تجارية مع بجاية ابتداء من سنة 1156م، ودلّ على متانة العلاقات الموحدية الجنوية هو إنشاء هذه الأخيرة مدرسة لتعليم اللغة العربية في جنوة سنة 604هـ/1207م، وذلك ليتسنى لتجار بلادها التعامل مع التجار العرب خاصة في بجاية[60].

ومهما يكن من أمر، فإن بجاية تمتعت بالأمن الداخلي والخارجي، وهكذا ما انعكس إيجابا على اقتصاد المدينة وازدهار طرقها التجارية البرية منها والبحرية ولم ينطبق هذا الازدهار الاقتصادي والثقافي على بجاية فحسب فحتى بلاد إفريقية (تونس) عرفت طفرة نوعية في جل الأصعدة لم تعرفها من قبل وهذا بفضل استتباب الأمن والاستقرار في ربوع البلاد مما انعكس إيجابيا على العباد[61].

9- ضعف وانهيار البحرية الموحدية وأثره على سلامة السواحل المغاربية:

بدأ الضعف يدب في أركان الدولة الموحدية منذ هزيمتهم في معركة العُقاب ببلاد الأندلس سنة (609هـ/1212م)، غير أن التراجع الفعلي للأسطول بدأ منذ عام 607هـ/1219م، اثر انهزامه في برشلونة، ومنذ هذا التاريخ بدأت أراضي الدولة الموحدية في الانحسار والتراجع[62] بدءا من بلاد الأندلس فبلاد المغرب الأدنى إلى أن خرجت بجاية من السلطة الموحدية إلى الدولة الحفصية عام 628هـ/1230م، وأصبحت أراضي الحفصين تمتد من منطقة القبائل الكبرى غربا إلى سرت شرقا[63].

إن ضعف الأسطول الموحدي وتراجع هيبته على المسرح الداخلي والإقليمي كان وبالا على المدن الساحلية المغاربية، فقد استغل الأوروبيون ضعف البحرية الموحدية ليشكلوا خطرا على أمن وسلامة السواحل المغاربية، ليطفوا من جديد الاعتداءات الجنوية بشنهم هجوم على سبتة سنة 632هـ/1235م.

وبلغت البحرية الموحدية من الضعف والعجز إلى درجة أن الخليفة الموحدي السعيد ابن المأمون الملقب بالمعتضد (640-644هـ/1242- 1246م) استعان بملك صقلية فريدريك الثاني Frédéric II (1198-1250م) سنة 644هـ/1246م وذلك لاسترجاع الأراضي الحفصية إلى الموحدين، إلا أن القشتاليين فاجئوا الموحدين سنة 658هـ/1260م، ولم يتمكنوا من إخراجهم وطردهم إلا المرنيين[64]، لتطوى بذلك صفحة مشرقة من صفحات بلاد المغرب الذي عاش في رحاب الوحدة المغاربية في أمن و سلام.

خاتمـــــــــة

استفادت بجاية من البحرية الموحدية التي وفرت لها الحماية من الأخطار المتأتية من القوى الأوروبية التي صممت على إخضاعها واستهدافها كلما سمحت لهم الفرصة بذلك، وبالمقابل فإن بجاية قدمت إضافة للبحرية الموحدية من خلال تدعيمها للأسطول الموحدي بالعدة والعتاد إلى أن صارت بجاية أهم محطة بحرية في الضفة الجنوبية للمتوسط، وبفضل الإفادة والاستفادة فإن بجاية تحولت من نقطة دفاع بحري أواخر العهد الحمادي إلى نقطة هجوم بحري في العهد الموحدي غير أن ضعف القوة العسكرية الموحدية عجل من خروج بجاية من الفضاء الموحدي إلى الفضاء الحفصي وطرأ على بجاية الحفصية بعض الاختلالات الأمنية وظلت محل نزاع بين الحفصيين والمرنين.

الهوامش:

1- بن مبارك نسيم : **الصناعة في نوميديا من 203 إلى 46 ق.م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم تخصص تاريخ الحضارات القديمة، إشراف د. د. بن لحرش عبد العزيز، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، ص.140.

2- مها عيساوي : **المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ القديم، إشراف د. د. محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، ص.395.

3- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، ط.2، مكتبة الشركة الجزائرية، 1384ه/1965م، ج.1، ص.125-123.

4- ابن حوقل أبو القاسم محمد ، (ت. بعد 367ه/977م): **صورة الأرض**،دار مكتبة الحياة، بَيْرُوت، 1992 ص.77.

5- أحلام حسن النقيب : **الأسطول الفاطمي نموذج للتفوق البحري الإسلامي 212-365هـ/827-976م**، في مجلّة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 4، العدد 4، الموصل،2006، ص.217-216.

6- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن (ت. 630ه/1233م) **الكامل في التّاريخ**، تح. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ / 1997م، ج.8، ص.203-202.

7- الهادي روجي إدريس : **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، تر. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج.2، ص.107.

8- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت. 487هـ/104م): **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص.757.

9- مؤلف مجهول (ت. بعد 580ه/1185م) : **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار - وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د. ت.)، ص.128.

10- مقديش محمود (ت. 1228 هـ /1813 م): **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح. علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988م، ص. 82؛ عشراتي سليمان : الشخصية الجزائرية بانوراما المشهد الحضاري لميلاد الدولة الحمادية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،(د. ت.ت.)، ج.2، ص.140.

11- عن أسباب نقل الحماديين عاصمتهم من القلعة إلى بجاية، عُد إلى: الرزقي شرقي: **قراءة تحليلية في وثيقة تاريخية جديدة حول خلفيات انتقال الحماديين من القلعة إلى بجاية**، في مجلّة دراسات تراثية بمخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، العدد 04، الجزائر 2010، ص.187 إلى 212.

12- محمود مقديش : المرجع السابق، ص.92.

13- خلاصي علي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص.51-50.

14- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت. نحو 695هـ): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح. ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط.3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج.2، ص.241.

15-البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص.80.

16- وأدرك العسكريون الموحدون أنه لا مناص من تحريرها دون تدخل القوات البحرية لتقديم المدد للقوات البرية، وطبقوا نفس إستراتيجية بلكين بن زيري في فتحه لما استعصى عليه من المدن الساحلية على ما أورده ابن الأثير:« **وعظم شأن زناتة واشتد ملكهم. وكان بلكين عند سبتة ... وهربت زناتة منه فلجأ كثير منهم إلى سبتة ... فوقف نصف نهار لينظر ، من أي جهة يحاصرها ويقاتلها، فرأى أنها لا تؤخذ إلا بأسطول**».ابن الأثير : المصدر السابق، ج.9، ص.157.

17- التميمي المراكشي عبد الواحد بن علي محيي الدين (ت. 647هـ/ 1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق وتقديم محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ص.174.

18- أبو العباس أحمد القلقشندي (ت.821هـ/1418م): **صبح الأعشى**، دَار الكُتُب الخديوية،القَاهِرَة،1333ه/1915م ،ج.5،ص.126. ويرى ابن الأثير بأن هذه السنة تُمثل خضوع بجاية نهائيا لسيطرة الموحدين، بحكم أن الحملة الموحدية انطلقت سنة 546هـ/1151م ابن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص.157. ووافقه في ذلك بعض المؤرخين كزين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت. 749 هـ / 1349 م) :**تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ /1996م، ج.2، ص.46. وممن ذهب إلى هذا الاتجاه يوجد: **برنشفيك روبار : تَارِيخ إفريقية في العهد الحفصي من القَرْن 13 إلى القَرْن 15**، تَرْجَمَة حمادي الساحلي، دَار الغَرْب الإِسْلاَمِي، بَيْرُوت،1988، ص.32. ولعل هذا التاريخ هو الأقرب للصواب فقد أشارت بعض الوثائق الغير المنشورة لصاحبها ليفي بروفنسال تفيد من أن الموحدين بسطوا هيمنتهم على بجاية يوم 24 جمادي الأولى 547ه/27 أوت 1152م.

19- البيدق: المصدر السابق، ص.73؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص.47-45؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج.9، ص.184.

20- البيدق : المصدر السابق، ص.73.

21- عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص.153.

22- ابن الأثير : المصدر السابق، ج.9، ص.231؛ عبد الواحد

المراكشي : المصدر السابق، ص.153.

23- يرى عبد الواحد المراكشي أنه تضافرت مجموعة من الأسباب دفعت بالميورغين (بنو غانية) غزوهم واحتلالهم لبجاية وهي : استنجاد جماعة من أهل بجاية الموالين للحمادين والمرابطين والساخطين على الموحدين، ومنها أيضا: استغلال فرصة تمركز الموحدين بفتح بلاد الأندلس ، ووصول نبأ وفاة الخليفة أبي يعقوب فغلب على ظنه بأن انتقال الخلافة إلى ابنه يوسف لن يحدث بسلاسة وأن الفوضى ستدب في أركان بيت الحكم الموحدي، كل هذه الأسباب جعلت من الميورقيين يحتلون بجاية، عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص.197.

24- البيدق : المصدر السابق، ص.81.

25- ابن الأثير : المصدر السابق، ج.9، ص.483.

26- ابن جبير، محمد بن أحمد (ت. 614هـ/1217م): **رحلته**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص.276.

27- ابن خلدون عَبْد الرحمن (ت.808ه/1406م): **ديوان المبتدأ والخبر في تَارِيخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي السُلطَان الأكبر**، مر. سهيل زكار، دَار الفِكْر، بَيْرُوت،1421هـ/ 2001م، ج.6، ص.326.

28- القلقشندي: المصدر السابق،ج.5،ص.126؛ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص.198.

29- ابن المظفر محمد بن عمر المظفر (ت. 617هـ): **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، تح. الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، (د . ت.)، ص. 229.

30- القلقشندي : المصدر السابق، ج.5، ص.126؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص.176-175.

31- الحِميرى أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت.900هـ/1495م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**،تح. إحسان عباس، ط.2،مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص.568.

32- الحميري : **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار**، ط.2، دار الجيل، بيروت، 1408هـ/ 1988م

33- اليافعي أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت.768هـ/1367م): **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ /1997م، ج.3، ص.363.

34- ابن الأثير : المصدر السابق، ج.10، ص.163.

35- اليافعي : المصدر السابق، ج.3، ص.363.

36- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت.658هـ/1260م) : **الحلة السيراء**، تح. حسين مؤنس، ط.2، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص.276؛ ابن سعيد المغربي أبو الحسن على بن موسى (ت. 685هـ/1286م): **المغرب في حلى المغرب**، تح. د. شوقي ضيف، ط.3، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ج.1، ص.436.

37- البكري: المصدر السابق، ص.757.

38- الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله، (ت. 560ه/1165مـ) : كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ت.)، ص.260.

39- مارمول كربخال : المرجع السابق، ص.377.

40- جون جوليوسنورويش : المرجع السّابق، ص. 112.

41- ابن الأثير: المصدر السابق، ج.9، ص.184؛ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص.152.

42- عبْد الرحمن بن خلدون :المصدر السابق،ج.1، ص.312.

43- البيدق : المصدر السابق، ص.59؛ ابن خلدون : المصدر السابق، ج.6، ص.252و326.

44- ابن خلدون : المصدر السابق، ج.1، ص.312.

45- الإدريسي : المصدر السابق، ج.1، ص.260.

46- الحميري : المصدر السابق، ص.81.

47- مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص.130.

48- الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج.2، ص.108.

49- مؤلف مجهول :المصدر السابق، ص.130.

50- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص.168.

51- ابن خلدون: المصدر السابق، ج.1، ص.314.

52- ابن خلدون: المصدر السّابق، ج.1، ص.316؛ محمد المنوني : **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، (د. ت.)، ص.56.

53- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد (ت.1897م) : **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1955،ج.2، ص.128.

54- اعتبر روبار برنشفيك بأن هذه الحملة الثانية التي قام بها الموحدون بعد الحملة الأولى على بجاية، وبفضلها بسط الموحدون هيمنتهم على البلاد التونسية والطرابلسية فخلص لهم بذلك الشمال ألإفريقي، المرجع السابق، ص.33-32.

55- Mas-latrie Louis , **Traités de paix et de commerce et Documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique Septentrional au moyen âge.**

Supplément et Tables J. Baur et détaille, Libraires, Paris, 1872. P.41.

56- أمينة بوتشيش: **بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف د. عبدلي لخضر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية 1429-1428هـ/2008-2007م، ص.13.

57- روبار برنشفيك: **تَارِيخ إفريقية في العهد الحفصي من القَرْن 13 إلى القَرْن 15**، تَرْجَمَة حمادي الساحلي، دَار الغَرْب الإسلامي، بَيْرُوت،1988،ج.1،ص.318.

58- للمزيد من الإيضاح حول هذا الموضوع، ارجع إلى: Mas-latrie, OP. CIT.,35.

59- ابن الأثير : المصدر السابق، ج.9، ص.184؛ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص.138.

60- حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة خانجي، القاهرة، 1980ص.287.

61- برنشفيك : المرجع السابق، ص.35؛ أمينة بوتشيش : المرجع السابق، ص.49.

62- ابن خلدون: المصدر السّابق : ج.1، ص.317؛ ج.س. كولان: **الأندلس**، تر. إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص.137.

63- برنشفيك : المرجع السابق، ص.51.

64- الفاسي علي بن أبي زرع (726ه/1326م) : **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1339هـ/1920، ص.25-24.

ملحق الخرائط

خريطة تُمثل مواقع فتح الموحدين لبجاية بالمغرب الأوسط والمهدية بالمغرب الأدنى.

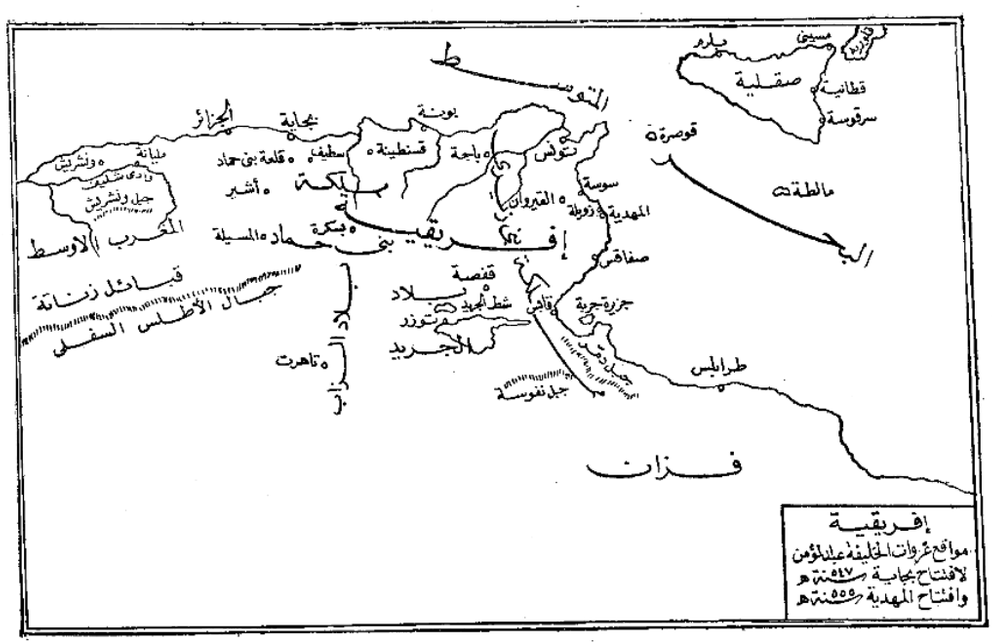

نقلا عن : عنان محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط.2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411ه/1990م، ص.283.